ماذا تريد الشريعة ؟

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨﴾ [النساء : ٢٧ – ٢٨]

جاءت هاتان الآيتان في سياق أحكام تتعلق بالمرأة وبالنكاح ؛ فبينتا الفرق بين مراد الشريعة ومراد عُبَّاد الشهوات ، فالشريعة تريد لنا حياةً نقيةً طاهرةً بعيدةً عن المعاصي والآثام والآفات والأمراض ، بينما عُبَّاد الشهوات يريدون لنا أن ننحرف عن الطُّهْر والنَّقاء انحرافًا شديدًا ، كانحرافهم هم ، فالعجيبُ أنهم في شَرِّ حالٍ ويحرصون على أن يكون الناسُ في حالٍ أسوأ من حالهم إن لم تكن مثلها ؛ على حد قوله ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ﴾ [القصص : ٦٣]

والآية دقيقة في التصوير ، ﴿يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ فهذه الشهوات غرائز موجودةٌ وجبلَّةٌ فُطِرَ عليها البشرُ ، فإذا اتَّبَعَها الإنسانُ صار عبدًا لها ، فبدلًا من أن يتحكم فيها ويضبطها بالميزان تتحكم فيه وتُفْقِدُهُ توازُنَهُ وتُخَرِّبُ عليه حياتَهُ ، وهل تظن أن هذا الذي يجري وراءَ شهواتِهِ لا همَّ له إلا إشباعَهَا سعيدًا بذلك ؟ إنه رغمًا عن المتعة الزائفَةِ المؤقتة يعيش في شقاءٍ ، لأن نفسه تتمزَّقُ ، وإذا طرأت عليه أحيانًا لحظاتُ تفكيرٍ وتأمُّلٍ في حالِ نفسه فإنه يزداد تمزُّقًا ، يرى أنه عبدٌ لبطنه وفرجِهِ ، يقودانِهِ للهلاك ، فإن لم يهلك بالأمراض الجسدية هلك بالأمراض النفسية ، لأن الإنسان خُلِقَ لغايةٍ ؛ وهذا المسكين انحرف عن غايته ومال ميلًا شديدًا .

﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾ [طه : ١٢٤] تأمَّلْ المعنى اللغوي لـ ضَنك تعرف ما نريد أن نقوله ، فالضَّنْكُ الضيق الشديد وضعف الجسم وهزاله ، وضعف العقل واختلاله ، والضِّنَاك الزكام لأنه يضيِّقُ على الإنسان نَفَسه ، والضُّنَاك الشجر الكبير الملتف حول نفسه ، هذه حال عُبَّاد الشهوات وحال من يُعْرِضُ عن الشريعة ، بينما الشريعة إنما

تريد التخفيفَ عن الإنسان ، وراعت ضعفَه أمام غرائزه ؛ فحرصت على تهذيبها وليس على خنقها وكبتها ، تلمح هذا المعنى في قوله ﴿يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ وفي قوله ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ فالإنسان أكثر ما يضعف أمامَ الغريزة الجنسية ، وفي قراءة ابن عباس ﴿وَخَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ضَعِيفًا﴾ أي وخلق اللهُ الإنسانَ ضعيفًا ؛ أي لا يصبر عن النساء .

قال سعيد بن المسيب : « لقد أَتَى عليَّ ثمانون سنة وذهبَتْ إحدى عَيْنَيَّ وأنا أَعْشُو بالأخرى وصاحبِي أعمى أصمُّ – يعني ذَكَرَه – وإني أخاف من فتنة النساء » .

وقال عبادة بن الصامت رضي الله عنه « ألا ترونَ أَني لا أقوم إلا رِفْدا – أي إلا أن أُعانَ على القيام – ولا آكل إلا ما لُوِّقَ لِي – يعني لُيِّن وسُخِّن – وقد مات صاحبي منذ زمان – يعني ذكَرَه – وما يسرُّني أني خلوتُ بامرأةٍ لا تحل لي وأنَّ لي ما تطلع عليه الشمس مخافَة أن يأتيني الشيطانُ فيُحرِّكَهُ عليَّ ؛ إنه لا سمع له ولا بصر » .

وقد راعت الشريعة هذا الضعفَ في الإنسان فهذبت غريزته ، ومنحته الفرصةَ للتنفيس عنها بالطريقة الصحيحة ؛ ولم تطالبه بخنقها وكبتها كما يفعل الرهبان ، شرعت له الاستمتاعَ بالنساء بالزواج ، وزادته تخفيفًا فشرعت له التَّسرِّي بالإماء ، فماذا يريد بعد ذلك ؛ لكن انظر ماذا فعلنا بأنفسنا ، أغلقنا على أنفسنا بابَ التَّسرِّي لمختلف الأسباب ، وضيَّقْنَا بابَ الزواج ، وهجَمَ علينا دهاقنةُ الفساد العالمي بصنوف المغريات المفسدات ، ونطمع مع ذلك في السلامة ، والله لو كنا في طهارة يوسف الصديق لوجب علينا أن نخاف كما خاف هو على نفسه عليه السلام فقال ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف : ٣٣]

والعجيب أن العلمانيين وأذنابَ أمريكا لا همَّ لهم إلا سيادة الشهوات ولا شُغْلَ لهم إلا النساء ، وما عندهم قضيةٌ غيرهنَّ ، لأنَّ مرادَ هؤلاء أن نميل ميلًا عظيمًا ، أي مرادهم إفسادُ المجتمع وتدميرُهُ ؛ ويعلمون أن الإنسان ضعيف أمام فتنة المرأة فيستغلُّونَ ذلك ؛ وكأنما كان

النبي ﷺ يقرأ من صفحات الغيب عندما حذرنا فقال : « **ما تركْتُ بعدي فتنةً هي أَضَرُّ على الرِّجالِ من النساءِ** » [1]

وهذا ليس المراد منه ذم النساء ، ولكنه إشارة إلى قوة هذه الغريزة ، وإلى ضعف الإنسان أمام النساء . وقال ﷺ : « **واتقوا النساءَ فإن أولَ فتنة بني إسرائيل كانت في النساء** » [2] .

واليهود اليوم هم دهاقنةُ الفساد العالمي ، ويستخدمون المرأةَ في ذلك بشكل رهيب ، وهم الذين يحركون دُمَى العلمانية عندنا ؛ الذين شدُّوا مآزرهم لنشر الفساد .

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق والأفعال فإنه لا يهدِي لأحسنها إلا أنت ؛ وأجرنا من نزغات الشياطين .

---

(١) صحيح مسلم ٤ / ٢٠٩٧ ، ح (٢٧٤٠) .

(٢) صحيح مسلم ٤ / ٢٠٩٨ ، ح (٢٧٤٢) .